دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

الرعي والرعاة في بادية المغرب الإسلامي
خلال العصر الوسيط

د. نور الدين أمعيط
أستاذ التعليم العالي مؤهل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الجديدة
جامعة شعيب الدكالي – المملكة المغربية

مُلَخّص

يُعَدّ موضوع الرعي والرعاة ببادية المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، من المواضيع التي لم تنل حظها بعد من الدراسة والتنقيب من قبل الباحثين، وذلك على الرغم من أهمية النشاط الرعوي الذي ظل يحظى بعناية شريحة واسعة من المجتمع المغربي خلال الحقبة الوسيطية، باعتباره نشاطًا اقتصاديًا جسد مصدرًا للمواد الأولية ووسائل التنقل، خاصةً وأن المواشي والدواب كانت رمزًا للثروة ومصدرًا للعيش، بالنسبة للملاكين والرعاة على حد سواء، وعليها ظلت تقوم حياتهم وتنظيماتهم الاجتماعية وخصائصهم الثقافية. تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على النشاط الرعوي وفئة الرعاة ببادية المغرب الإسلامي من خلال توطين المناطق الرعوية وتحديد أساليب الرعي وتربية الماشية، مع رصد أصناف وتوزيع المواشي التي حظيت بعناية الإنسان المغربي، فضلاً عن كشف النقاب عن بعض تحديات الرعي، ومشاكل الرعاة ورصد مشاكلهم وأوضاعهم المعيشية الاقتصادية وعلاقاتهم الاجتماعية، في محاولة لرسم صورة تقريبية عن بعض الجوانب المنسية من تاريخ البادية المغربية خلال الحقبة الوسيطية. وقد توصلت الدراسة إلى أن الاهتمام بالنشاط الرعوي، قد فوت على المجتمع فرصة استصلاح الأراضي وأعاق بالتالي تجاوز اقتصاد الكفاف الذي ظل يهيمن على بلاد الغرب الإسلامي لعدة قرون.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٠٣ ديسمبر ٢٠٢١
تاريخ قبـول النشـر: ٢٦ يناير ٢٠٢٢

كلمات مفتاحية:

الرعي؛ الرعاة؛ المغرب الإسلامي؛ العصر الوسيط؛ تربية المواشي

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2022.271348

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

نور الدين أمعيط. "الرعي والرعاة في بادية المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط".- دورية كان التاريخية.- السنة الخامسة عشرة- العدد الخامس والخمسون؛ مارس ٢٠٢٢. ص ٣٧ – ٤٩.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: nour7404@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّوريةُ كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

يُعَدّ موضوع الرعي والرعاة ببادية المغرب الإسلامي[١] خلال العصر الوسيط، من المواضيع التي لم تنل حظها بعد من الدراسة والتنقيب من قبل الباحثين، وذلك على الرغم من أهمية النشاط الرعوي الذي ظل يحظى بعناية شريحة واسعة من المجتمع المغربي خلال الحقبة الوسيطية، باعتباره نشاطًا اقتصاديًا جسد مصدرًا للمواد الأولية ووسائل التنقل، خاصةً وأن المواشي والدواب كانت رمزًا للثروة ومصدرًا للعيش، بالنسبة للملاكين والرعاة على حد سواء، وعليها ظلت تقوم حياتهم وتنظيماتهم الاجتماعية وخصائصهم الثقافية. وبالمثل، فقد احتل الرعاة مكانة مهمة، إذ شكلوا عنصرًا أساسيًا في العملية الإنتاجية من خلال تعهدهم للماشية تربية وحراسة وعنايتهم بالمجال الرعوي تأمينا لموارده من الماء والكلاء.

وعلى الرغم من أهمية شريحة الرعاة داخل المجتمع المغربي الوسيطي، فإن أمهات المصادر التاريخية التقليدية، قد غيبت دورهم، فلم تتضمن سوى إشارات باهتة عن البادية والمنتجين الفاعلين بها، بما في ذلك الرعاة، حتى ليمكن القول إن الإنتاج التاريخي الذي تضمنته كتب الحوليات التاريخية في العصر الوسيط، هو في مجمله إنتاجًا يهم الملوك والحكام والحواضر والمدن الكبرى.

وعليه، فإننا نسجل ندرة المادة المصدرية التي تخص الرعي والرعاة في المصادر الوسيطية، فباستثناء بعض النوازل الفقهية ذات الصلة بمسألة ضمان الراعي في حال تفريطه بضياع أحد رؤوس الماشية، مع إشارات قليلة ومتناثرة عن أحوال الرعاة، فإن الباحث يصطدم بشح الإشارات المصدرية ذات الصلة بهذه الفئة المنسية من المجتمع المغربي، وهو ما انعكس سلبا على إنتاجات الباحثين في الموضوع فباستثناء الدراسة المقتضبة للأستاذ موسى هواري حول "تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين"[٢]، والدراسة الموسومة "بنظام الرعي في المغرب الأوسط بين القرنين الرابع والخامس الهجريين"[٣] للأستاذة نوال بلمداني، لا نكاد نجد دراسة متخصصة ووافية في الموضوع.

ومن أجل معالجة هذا النقص، في تاريخ المجتمع المغربي، اتجهت هذه الدراسة نحو توسيع مفهوم الوثيقة وذلك باعتماد مصادر، ظلت إلى عهد قريب لا تدخل ضمن اهتمامات المؤرخ، من قبيل كتب النوازل الفقهية وكتب الجغرافيا والرحلات وكتب المناقب وبعض الإشارات المتناثرة في كتب التاريخ العام، فضلاً عن دراسات تناولت الموضوع ضمن مواضيع عامة[٤] اهتمت بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط.

واستنادًا على ما توفر من معطيات مصدرية، تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على النشاط الرعوي وفئة الرعاة ببادية المغرب الإسلامي من خلال توطين المناطق الرعوية وتحديد أساليب الرعي وتربية الماشية، مع رصد أصناف وتوزيع المواشي التي حظيت بعناية الإنسان المغربي، فضلاً عن كشف النقاب عن بعض تحديات الرعي، ومشاكل الرعاة ورصد مشاكلهم وأوضاعهم المعيشية الاقتصادية وعلاقاتهم الاجتماعية، في محاولة لرسم صورة تقريبية عن هذه الفئة المنسية من تاريخ البادية المغربية خلال الحقبة الوسيطية.

أولاً: المناطق الرعوية في بلاد المغرب الإسلامي (محاولة للتوطين)

ظلت المناطق الرعوية بمثابة المجال الحيوي للقبيلة ببلاد المغرب خلال فترات مختلفة من العصر الوسيط، ولا غرو فقد ربط ابن خلدون بين الوضع الجغرافي للتجمعات الحضرية وحاجتها إلى المراعي كمجال حيوي يوفر حاجياتها الاقتصادية، حتى إنه أرجع خراب المدن إلى غياب" مراعي السائمة من ذوات الظلف"[٥]، إلى جانب أهمية الماء والمزارع والمحطب، وضرب لذلك أمثلة بمدن من المغرب والمشرق معا، ومنها سجلماسة والقيروان والكوفة، وكلها مدن تداعت للخراب بسبب غياب أو ضعف العناصر السالفة الذكر[٦].

ومعلوم أن جميع الكتل القبلية الكبرى بالمغرب الإسلامي، قد مارست رعي المواشي وتربيتها ومقايضتها، في إطار مجال رعوي متنازع عليه في الغالب الأعم، حيث جسد المجال الرعوي وجاذبيته، محورا للصراع القبلي[٧]، كما لعب دورا محوريا في تحول نمط عيش السكان من رحل إلى مستقرين، حيث ارتبط الرعاة الرحل بمسألة الأرض والماء والكلأ، وهو ما قد يجدبهم إلى العمل السياسي، كما هو الشأن بالنسبة لبني مرين الذين استحوذوا على أراضي المغرب شمالا وشرقا، وتأقلموا مع الجو السياسي منجذبين إلى الاستقرار، أو التحول إلى النمط الزراعي والرعي المختلط، تدريجيا، كحال بني هلال[٨].

ولما كان النشاط الرعوي من أهم الأنشطة الفلاحية السائدة بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط[٩]، فإن المسارح كانت واسعة ومفتوحة، فباستثناء مناطق الاستقرار القديمة للسكان الأصليين كبلاد المصامدة، ومنطقة الاستعمار الروماني الواقعة داخل حدود الليمس، فإن باقي المناطق كانت

مراعي براحا لا مالك لها[١٠] تتنقل فيها القبائل الصنهاجية والزناتية وبعض المصامدة، وهو ما يوحي بشساعة المجال الرعوي ببلاد المغرب الإسلامي عموما، مقابل محدودية مناطق الاستقرار والنشاط الزراعي التي شكلت فيها القرية مجالا متكاملا تتداخل فيه أراضي الزراعة والمغروسات، مع الأراضي الغابوية والمراعي المكشوفة[١١].

وبتأمل مختلف الإشارات المصدرية حول مناطق الرعي بالمغرب الإسلامي، في محاولة لتوطينها خلال العصر الوسيط، يمكن تصنيفها حسب بيئات هذا المجال إلى مناطق رعوية رئيسية تتمركز بالجبال والسفوح والأودية، وأخرى ثانوية تتمركز بالمناطق الصحراوية الجافة وشبه الجافة والواحات.

وهكذا، ففي بلاد المغرب الأقصى امتد المجال الرعوي بجبال درن والدير والحوز بما في ذلك أغمات ونفيس وشيشاوة ومراكش وأحوازها، إضافة إلى سهل دكالة وجبال هسكورة وتادلة وجبال فازاز وايروجان وسهل سايس والهبط وجبال غمارة، في حين امتدت المناطق الرعوية الثانوية على حوض ملوية الأعلى وسجلماسة ودرعة وماسة ونول لمطة ثم الهضاب الشرقية والمناطق الصحراوية، وتشكل هذه الأخيرة مناطقا للرعي الواسع والترحال خاصة شرق وجنوب درن وشرق ملوية[١٢].

وبالمثل، فقد امتدت المراعي بالمغرب الأوسط على سفوح الجبال وأودية الأنهار، حيث وفرة الماء والكلاء للأغنام والماعز، بينما كانت تربى الأبقار والخيول في السهول والمروج، حيث تكثر المراعي بالمناطق الرطبة وتقل في المناطق الجافة[١٣]. وبحسب الإفادات التي قدمها صاحب نزهة المشتاق، فإن المجال الرعوي ومناطق تربية الماشية، انحصرت أساسا بين منطقتي تلمسان وتاهرت، فضلاً عن المنطقة المحصورة بين برشك ومازونة والتي اشتهرت بوفرة إنتاجها للصوف خاصة خلال القرن السادس الهجري، بفعل نمط عيش سكانها من زناتة[١٤] القائم على الرعي والترحال، فهم "قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان إلى مكان غيره"[١٥].

أما بالأندلس، فقد انتشرت مناطق الرعي شبه الصحراوي في مناطق الزراعة، وخاصة بضواحي قرطبة وجيان وشلب والمنطقة الواقعة بين شرق إشبيلية وبطليموس، وكلها مناطق اشتهرت بقطيعها الهائل من الأغنام، حتى إن غنائم نصارى إسبانيا إن أغاروا على هذه الجهات لا تكون إلا من الماشية والأغنام[١٦]، بل ويغنمون أعدادا كبيرة حتى إن منطقة صغيرة مثل استجة، غنموا منها خمسين ألفًا من الغنم وألفين من البقر في مرة واحدة[١٧].

ولا تعوزنا الإشارات المصدرية عن أهمية المراعي وشساعتها ببلاد الأندلس، إذ تطالعنا المصادر عما اشتهرت به إشبيلية مثلا من "طيب المسارح"[١٨] وكثرة "الزرع والضرع"[١٩] وذوات "الحافر والظلف"[٢٠] المنتجة لمختلف أنواع اللحوم والألبان والجلود والأصواف، فضلاً عن "البغال الموصوفة بحسن السير"[٢١]، والرمك[٢٢] وفحول الخيول، ولا غرو فقد اشتهرت إشبيلية بكثرة مروجها التي "لا تنهشم طيفا ولا يتحطم ويتمادى كلؤه رطبا"[٢٣] طول العام، ونخص بالذكر مسارح جزيرتي قبتور وقبطيل وسط النهر التي بلغت من الأهمية حتى قيل "لو جعل فيها سرح الأندلس أجمع لم يحتج إلى غيرها"[٢٤]، ناهيك عما كان يتخذ من "دواجن الحيوان وأبراج الحمام"[٢٥] ومختلف أنواع الطيور[٢٦].

ثانيًا: أساليب الرعي وتربية المواشي

أجمعت العديد من الدراسات أن النشاط الرعوي وتربية الماشية بالمغرب الإسلامي، ظل من أكثر الأنشطة الاقتصادية السائدة لدى أهله بحكم بداوتهم خلال العصر الوسيط[٢٧]، إذ يُعَدّ هذا النشاط من أقدم أنماط الحياة الاقتصادية لا في الإسلام فحسب، بل ولدى المجتمعات البشرية القديمة أيضًا[٢٨]، وإن اختلفت حيوية هذا النشاط من منطقة إلى أخرى بحسب الخصائص الطبيعية حيث شكل النشاط الرعوي إلى جانب الزراعة، مصدر قوت السكان وثروتهم، بل ظل يلون حياة الجماعة، وينظم إيقاعها، ويحدد العلاقات الإنتاجية بين الأفراد[٢٩].

لقد تعددت أساليب الرعي التي سادت ببلاد الغرب الإسلامي، ومنها الرعي المختلط الذي عرف بمحدوديته وساد بمناطق الزراعة وخاصة بالسهول، وفيه يكون المزارع أو صاحب الأرض هو نفسه صاحب الماشية، ثم الرعي شبه صحراوي وهو من الأساليب القديمة الملائمة للمراعي الواسعة والأراضي البراح[٣٠]، وقد كان أكثر انتشارًا من سابقه، وفيه لا يتعاطى صاحب الماشية مهنة أخرى غير الرعي[٣١]، وتذكر المصادر أن المرابطين وهم من صنهاجة، لما دخلوا إلى المغرب، اهتموا بالمراعي لإبلهم حيثما نزلوا ومن بينها المناطق المجاورة لمراكش التي جعلوا منها عاصمة لدولتهم، وكانت منطقة تادلا المغراوية من أفضل مراعي المغرب وأخصبها، حينئذ، وبها كانت قبيلة جراوة[٣٢].

وعلاوة عن الرعي المختلط وشبه الصحراوي، تنبه أحد الباحثين[٣٣] لنوع ثالث من أنواع الرعي السائدة بالمغرب، إنه الرعي الواسع أو التلقائي الذي كان يتم بدون راع، وقد ساد بالمناطق الجافة وشبه الجافة حيث ساد رعي الإبل والماعز بالخصوص[٣٤]، وفيه كان يتم تجميع القطعان وتجميعها عند الحاجة من طرف العبيد وأرباب الإبل عن طريق ترصدها عند نقط الماء، وهو الأسلوب الذي شاع أيضًا ببعض المناطق الداخلية، وإن كان خطر الحيوانات الضارية يحد من انتشاره خاصة منها الأسود والفهود[٣٥].

وعن تربية الماشية، فقد ساد أسلوب تربيتها في الحضائر والبيوت[٣٦] كما في الأكواخ[٣٧]، خاصةً عند المستقرين وأنصاف الرحل، وذلك نتيجة تزايد خطر الحيوانات المفترسة وتوسع الرقعة الزراعية أواخر العصر الوسيط، فضلاً عن خطر اللصوص[٣٨]، فساد استعمال العلف في الحواضر وضواحيها، وهو الأسلوب الذي شمل الأبقار والأغنام على وجه التحديد، وتطالعنا في هذا الصدد بعض النوازل عن أنواع العلف المستعملة بحسب الفصول وتكونت أساسًا من الشعير والعشب والحشائش الطرية في فصلي الشتاء والربيع، فضلاً عن الأعلاف المجففة كالتبن[٣٩] والنخالة التي ازداد الطلب عليها داخل المدن[٤٠]. أما سكان الواحات فلم يجدوا بدا من استغلال موارد بيئتهم، وذلك باستعمال نوى التمر والفصفصة، وهو ما كان "يساعد(...) على تقوية الغنم ويكثر من شحمها وألبانها"[٤١].

وقد دأب المستقرون ببلاد المغرب الإسلامي على تشييد زرائب وحضائر معدة للمواشي أمام مساكنهم، لتأوي إليها مساء، "فتنام عند أبواب الحجرات"[٤٢]، كما هو الحال عند أهل تفتنة من إقليم حاحا، أو يتم وضعها بداخل الكهوف، كحال سكان الخنك بنواحي سجلماسة الذين كان "لديهم عدد كثير من الماعز يؤونها أثناء الشتاء في كهوف واسعة، وتلك هي حصونهم لأنها عالية جدا ومدخلها ضيق"[٤٣].

ولم يتوان أهل البادية في تحصين هذه الزرائب والكهوف بإحكام، فقد عمدوا إلى إغلاق أبوابها بأغصان النباتات الشوكية[٤٤]، حماية للماشية من الضياع وتحصينا لها من الوحوش المفترسة من جهة، ثم الاستفادة من أزبالها كسماد لتخصيب الأرض من جهة ثانية، خاصة وأن الطلب صار يتزايد على زبول المواشي أواخر العصر الوسيط، حتى أصبح الفلاحون يطوفون في أزقة المدن يطلبونها، وأحيانا بمقابل، ويتنافس في ذلك أصحاب البساتين والحمامات معًا[٤٥].

وقد استخدم بعض مربي الماشية وكبار الملاك بالبوادي المغربية العبيد السود[٤٦] في الرعي، كما استخدمت بعض القبائل الراعي المشترك[٤٧] لرعي المواشي التي قد تكون في ملكية عدد من الفلاحين أو بعض الجزارين[٤٨] وذلك لمدة معينة، لينتقل الدور إلى راع آخر بالتناوب[٤٩]، وهو النمط المعروف برعي الدولة[٥٠] فبعد "ضم مواشيهم يحرزونها بالدولة ويحرز كل واحد منهم يومه"[٥١]، وقد كان يتم تجميع المواشي قبل الخروج للرعي وعودتها منه بمكان يعرف بمجمع الرعي، وغالبًا ما يكون هذا المجمع في محل انعقاد السوق بالمدينة أو بساحة واسعة خاصة في مدخل القرية أو بالقرب منها. وتتجمع المواشي حسب أنواعها في الساحة، إذ لم يكن الرعي مختلطًا، بل كان هناك تخصص في رعي البقر ورعي الغنم ورعي الماعز ورعي الدواب[٥٢].

وعلاوة عن الرعي بالتناوب، ساد الرعي بالأجرة[٥٣]، وحينها يصبح الراعي أجيرا يتولى حرز أغنام فرد أو مجموعة أفراد من أهل القرية لمدة معينة، قد تتراوح بين ثلاثة أشهر والسنة بحسب الإشارات التي جادت بها بعض النوازل في الموضوع[٥٤].

وقد اختلفت شساعة المسارح أو المراعي بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، من منطقة إلى أخرى، ففيما اتسعت مناطق الرعي الصحراوي بإفريقية والمغرب الأوسط، على حساب الرعي المختلط بمناطق الزراعة نتيجة الغزو الهلالي، ماعدا بعض المناطق المحصنة التي احتفظت بزراعتها كتونس وسوسة وقسنطينة والمسيلة، ساد بالمغرب الأقصى أسلوب الرعي المختلط الذي بات يهيمن على مناطق الرعي شبه الصحراوي، خاصة زمن الموحدين الذين أولوا عنايتهم أكثر للنشاط الزراعي الذي صار يختلط بالنشاط الرعوي[٥٥].

ويمكن أن نخلص مع أحد الباحثين[٥٦]، أن المغرب الأقصى كان أكثر مراعيًا من باقي بلاد المغارب، حتى أن الرحالة أعجبوا بوفرة مائه وخضرته من ابن حوقل إلى الحسن الوزان، وحسبنا العودة إلى الوصف الدقيق الذي قدمه صاحب الاستبصار حين وصف مراعي وجدة بأنها من "أنجع المراعي وأصلحها للماشية، يذكر أنه يوجد في الشاة من شياههم مائتي أوقية شحما"[٥٧]، ناهيك عن أوصاف باقي الرحالة لمختلف المناطق الرطبة بالمغرب الأقصى[٥٨].

ثالثًا: أصناف المواشي وتوزيعها

شكلت المواشي مصدرا لعيش السكان بالبادية المغربية خلال العصر الوسيط، فهي مصدرًا للثروة ووسيلة للنقل والحرث والدرس، فإلى جانب الاهتمام بالدواب الحمير والبغال، وتربية

الأغنام والماعز، اعتاد الفلاحون تربية الأبقار والجمال سواء لاستغلال لحومها وألبانها، أو باستعمالها في عمليات الحرث، وهو ما ظل يعبر عنه المصطلح المتداول إلى يومنا الحاضر "بزوج الحرث"[٥٩] الذي يحمل دلالة مساحة يستطيع الفلاح حرثها بمحراث يجره زوج من الأبقار أو الدواب. وفيما يطالعنا ابن الخطيب خلال القرن الثامن الهجري، عن توظيف البقر في عمليات الحرث، حين ذكر أن بلاد دكالة كان يبلغ عدد الأزواج بها "لإثارة الأرض ومعالجة الحرث ثلاثة آلاف زوج من أزواج الثيران"[٦٠]، أكد أحد الدارسين[٦١] أن زوجة الحرث، ظلت تحتسب كوحدة جبائية أيضًا بالمغرب خلال العصر الوسيط[٦٢]، بل قبل ذلك، وإلى حدود فترات تاريخية متأخرة.

٣/١-الأغنام والأبقار

لم يقتصر الرعاة والفلاحون على كسب نوع واحد من المواشي، بل كثيرا ما كانت تربى الأبقار والأغنام والخيول والجمال في منطقة واحدة، وذلك بحسب اختلاف البيئة الجغرافية، لذلك فقد كانت منطقة تربية الأغنام والأبقار بإفريقية والمغرب الأوسط بجبل زغوان وبونة وشرشال والجزائر وجيجل وقسنطينة، "فهذه البلاد الساحلية كثيرة الخصب والزرع، كثيرة الغنم والماشية (...) ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب والأندلس لرخصها وطيب لحومها"[٦٣]. وفي المغرب كانت تتم تربية الأغنام والأبقار بتلمسان وجبال غمارة والسهول الغربية ومنطقة فاس وتادلا والسهول الساحلية الغربية والسوس وسجلماسة ودرعة. وقد عبرت المصادر عن وفرة الأغنام والأبقار أحيانًا بعبارة "كثرة الزرع والضرع"، فمن فاس إلى طنجة(...) قرى كثيرة عامرة زرعا وضرعا"[٦٤]، وأحيانًا أخرى بتقديم أوصاف لبعض أنواع الغنم، لا سيما السلالة المتوفرة بسجلماسة وبلاد القبلة والمعروفة "بالكباش الدمانية"[٦٥]، فهي على "خلقة الغنم إلا أنها أعظم، وشعرها كشعر المعز لا صوف عليها، وهي أحسن الغنم خلقا وألوانا"[٦٦]، ونفس النوع نال استغراب الوزان أواخر العصر الوسيط، حين ذكر أن هذا "الحيوان داجن، شكله شكل الخروف، إلا أن قامته قامة حمار قصير، وأدناه طويلتان متدليتان(...) وللإناث وحدها قرون بخلاف الذكور"[٦٧].

أما بالأندلس، فقد تمركزت تربية الأغنام والأبقار بمنطقة قرطبة وجيان وشرق إشبيلية وشلب[٦٨]، وكثيرا ما كانت الأغنام والأبقار تصدر إلى الأندلس من تلمسان[٦٩]. وقد عكست نوازل الفترة الأخيرة من العصر الوسيط، ذلك الخصاص الحاصل في الأبقار وقلة الدواب المهيأة للأشغال الزراعية، إذ تحدثت عن شراء أبقار اكتشفت أنها لا تحرث ولا تدرس[٧٠]، كما تشارك أكثر من شخص واحد في شراء ثور للحرث وكراء الأبقار للدرس واستعارتها، ويستشف نفس الخصاص من خلال حديث الوزان عن قلة الأبقار[٧١]، مقابل الانتشار الكاسح للماعز في عدة مناطق من أقطار الغرب الإسلامي.

٣/٢-الماعز

وقد كان أكثر أنواع المواشي انتشارا بمختلف بيئات الغرب الإسلامي، ففيما تميزت تربية الأبقار بالضعف خلال فترات مختلفة من العصر الوسيط، وهو الحيوان المستعمل حينئذ في الأشغال الزراعية كالحرث والدرس والحمل، أصبح الماعز الحيوان الملائم لحالة عدم الاستقرار و للمناطق القليلة الخصوبة والوعرة، خاصة بالجبال، كما هو الشأن بالنسبة لجبل جبل بني رزين بالشمال[٧٢] وجبل قبيلة إداوعاقل بإقليم حاحا[٧٣] الذي كان أهله يتوفرون على "عدد ضخم من الماعز"[٧٤]، و"سكان تييوت بنفس الإقليم الذين كانوا "يملكون أعدادا وافرة منه"[٧٥]، وجبل شيشاوة[٧٦] و منطقة هسكورة[٧٧]، و "جبل تغات"[٧٨] بناحية فاس الذي اشتهر كثيرًا بتربية هذا النوع من الماشية، حتى سمي بجبل تغات أو جبل الماعز. ويبدو من خلال معاينات الوزان، أن تربية الماعز، قد سادت على نطاق واسع ببادية المغرب الإسلامي، مقارنة بغيره، خاصة وأنه الحيوان الذي عرف بسرعة تأقلمه مع المجال، وعدم تطلبه لعناية فائقة، حتى إن سكان بني جنفن بالشمال، كانوا يملكون "الكثير من الماعز الذي يحتفظ به دائما في الغابات"[٧٩].

٣/٣-الخيول

سادت تربية الخيول بجبل زغوان والمسيلة والزاب ثم تلمسان وسجلماسة، وقد اشتهر المرينيون بتربيتها وخاصة بنو راشد في هضاب وانشريس، كما انتشرت تربية الخيول بتلمسان ووجدة وجبال فازاز[٨٠]، ودير صنهاجة قبل قيام الدولة المرابطية وبعدها[٨١]. وقد عرفت منطقة درن، بضعف إنتاجها للخيول، فقد كانت قوة الموحدين وهم في جبلهم، تعتمد على ما يغنمون من خيل المرابطين[٨٢]، وحسبنا أن نشير إلى أحداث سنة ٥٤١هـ، حين "أخذوا من خيلهم نحو ثلاثة الاف"[٨٣]، كما أن حاجة الموحدين للخيول، كانت من أهم الأسباب المفسرة لإصرار عبد المومن على فتح إفريقية وتلمسان بالرغم مما واجهه من محن هناك، ولا غرو فقد فرض على تلمسان سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، حوالي سبعمائة فرس لدعم حملات الموحدين ضد النصارى[٨٤] كجزء من الخراج المفروض لدعم الجهاد بالأندلس[٨٥].

ويطالعنا صاحب الاستبصار ببعض مواصفات خيول بلاد فازاز التي اشتهرت بالجودة والصبر، "فأهل هذه البلاد أهل كسب من الغنم والبقر والخيل، وخيل هذا الجبل من أعتق الخيول لصبرها وخدمتها، وهي مدورة القدود حسنة الخلق والأخلاق"[٨٦]. ويذكر ابن أبي زرع عن بني مرين الذين كانوا بإفريقية ثم غرب المغرب الأوسط وشرق المغرب الأقصى، ثم انتشروا بسجلماسة، أن "جل أموالهم الخيل والإبل والخول (الرقيق)"[٨٧]، وهو ما يفيد الأهمية الكبرى التي أولاها بنو مرين للخيول، وخاصة تلك المعروفة بالوحشية التي اعتاد سكان الصحراء على "اختبار سرعتها بالعدو وراء حيوان يدعى اللمط أو خلف نعامة، فإذا أدرك أحد هذين الحيوانين قدر ثمنه بألف مثقال أو مائة بعير"[٨٨].

وفيما اشتهرت منطقة تامسنا بتربية الخيول لأن أهلها "أهل حرث ومواش وجمال، والغالب عليهم الفروسية"[٨٩]، عرف أهل المدينة[٩٠] حاضرة دكالة، أنهم "شجعان يملكون عددا من الخيل"، بينما كانت كل من مراكش وإشبيلية تحتضنان سوقا نافقة للخيل[٩١].

٤/٣-الجمال

انتشرت تربية الجمال بصحراء زناتة وبني مرين وبسائط باغاية وتلال مزاتة وضريسة البربريتين، كما انتشرت تربية الإبل بإفريقية والمغرب الأوسط، وكانت مناطق الإبل تتركز أساسًا بدرعة[٩٢] وسجلماسة[٩٣] وصحراء صنهاجة. ويذكر ابن عذاري المراكشي أن مناطق رعي الإبل بعد قيام الدولة المرابطية، كانت منتشرة على نطاق واسع بضواحي مراكش، ولا ريب، فقد تحكمت هذه المراعي في اختيار عاصمتهم مراكش، لتلبي حاجيات مواشيهم، وبسائط تصلح مرعى لإبلهم[٩٤].

تعلق المرابطون بتربية الإبل تعلقا شديدا، حتى إنهم أدخلوها إلى الأندلس حيث استعملت في نقل العتاد والعساكر[٩٥]، ولا غرو فقد وصفهم الإدريسي بأنهم "أصحاب إبل ونجب عتاق رحالة لا يقيمون بمكان واحد"[٩٦]. ونفس الأمر اشتهر به المصامدة من أهل تامسنا الذين وصفهم الإدريسي بأنهم "أهل حرث ومواش وجمال"[٩٧]، ولم يحد المرينيون عن ارتباطهم بالإبل فجل "أموالهم الخيل والإبل والخول (الرقيق)"[٩٨]، واهتم بنو وطاس أيضًا بالجمال لدورها في النقل وحمل المؤن وقت الحروب، لذلك أولوها عناية خاصة فالملك منهم "كان له مندوب مكلف بالجمال على الخصوص يشرف على الرجال الذين يرعون الإبل ويقسمون المراعي بينهم"[٩٩].

ومن المناطق التي عرفت بتربية الجمال وتجارتها، نذكر سجلماسة التي شكلت سوقا مهمة لها، بشهادة ابن بطوطة الذي ابتاع منها الجمال لرحلته إلى بلاد السودان[١٠٠]. وقد عرفت بالحيوان "الأقل كلفة لصاحبه والأكثر فائدة له"[١٠١]، فهي " تصبر على العطش صبرها على الجوع، وفي استطاعتها أن تبقى خمسة عشر يوما دون أن تشرب(...) وإذا أورد أحد إبله كل ثلاثة أيام أضرها ذلك"[١٠٢]. ومن أنواع الجمال "الشبانية" المتحملة للأثقال، و"جمال الركيبات" المسماة أيضًا "بالمهاري" والمتسمة بسرعتها[١٠٣]. وتجدر الإشارة أن فترات ازدهار تربية المواشي بمختلف أصنافها، قد ارتبط ارتباطًا وثيقًا بفترات الاستقرار السياسي والمناخي، فضلاً عن تشجيع السلطة، إذ أعطى بعض سلاطين الدولة الحاكمة خاصة الموحدين والمرينيين المثال بأنفسهم في تعاطيهم للزراعة وتربية الماشية، كما أولوا عنايتهم بغراسة الأشجار المثمرة، وتربية الأصناف الجيدة من الخيول والأغنام والأبقار[١٠٤] مستفيدين في ذلك من الخبرة القديمة للمصامدة، وكذا خبرة الأندلسيين في هذا المجال[١٠٥].

رابعًا: مشاكل النشاط الرعوي والأوضاع المعيشية للرعاة

٤/١-مشاكل النشاط الرعوي

أفرز النشاط الرعوي جملة من المشاكل ببلاد المغرب الإسلامي ارتبطت أساسًا بالنزاع حول المسارح ومنابع الماء بين المجموعات القبلية، وهو ما أثار انتباه صاحب الاستبصار حين ذكر أنه "إذا رأيت قومًا يتخاصمون وقد علا بينهم الكلام فاعلم أنه في أمر الماء"[١٠٦]، وما حوله من المراعي. ومعلوم أن حدة النزاع حول المسارح، كانت تختلف من فترة إلى أخرى، حسب ضعف أو قوة السلطة المركزية، كما أن المراحل الأولى من العصر الوسيط، وما ميزها من ضعف في الكثافة السكانية، كانت بعض القبائل "تبيح الماء والمراعي في مساحات شاسعة، بل إن "أصحاب البرانس المقيمين بين السوس وأغمات وفاس(...) جميعهم يبيحون البلاد للمراعي والزرع والمياه لورود الإبل والماشية"[١٠٧].

غير أن هذا الحال لم يكن القاعدة، إذ سرعان ما تنازعت القبائل الزناتية حول المسارح[١٠٨]، كما أن الفترات الانتقالية حملت نزاعات محتدمة على المجال، ولا غرو فقد ساق العصر المرابطي مجموعات صنهاجية محترفة لتربية الإبل والماعز، نحو

الشمال، مما أدى إلى مزاحمة القبائل المستقرة في مزارعها ومراعيها[١٠٩]، حيث انتزع المرابطون مناطق برمتها كانت تحت سيطرة زناتة كجبال فازاز ودرعة وسجلماسة[١١٠]، بل زاحموا المصامدة بجبل درن ومنعوهم من النزول وحرموهم من مسارحهم[١١١].

وبعد تسلم الموحدين للسلطة، أقبلت المجموعات المصمودية على إغلاق الممرات الجبلية في وجه القبائل الصنهاجية المحترفة للرعي التي عادت للتنقل في الحدود التي وجدت فيها وراء جبال درن، بينما عادت بعض القبائل الصنهاجية إلى مواطنها الأصلية بالصحراء كقبيلة جدالة، في وقت أولى فيه الموحدون عناية كبيرة للنشاط الزراعي، مما ساهم في تزايد الاستقرار وتراجع نمط الرعي والترحال[١١٢].

وخلال العصر المريني، مارست القبائل الزناتية عنفًا كبيرًا في بداية أمرها للسيطرة على المراعي، وهم الذين احترفوا الرعي والترحال وغابت لديهم أطماع السياسة في بداية أمرهم، لذا "تفرقت قبائلهم في جهات المغرب وأنحائه وضيقوا على قبائله(...) ومَنْ نابذهم قاتلوه، ففر الناس أمامهم يمينا وشمالا ولجأوا إلى الجبال المنيعة"[١١٣]، كما أن أول أمر قام به أميرهم أبي بكر بن عبد الحق المريني(٦٤٦-٦٥٦هـ/١٢٤٨-١٢٥٨م)، جمعه لأشياخ "قبائل بني مرين فقسم عليهم بلاد المغرب، وأنزل كل قبيلة بناحية، وجعل لها ما نزلت فيه من الأرض وما غلبت عليه من البلاد"[١١٤]. وذلك قصد التحكم في المجال وحيازة المسارح. وبالاستناد إلى بعض الإشارات المصدرية التي توفرها كتب النوازل والرحلات بالخصوص، يمكن تصنيف مشاكل النشاط الرعوي بالمغرب الإسلامي إلى مشاكل بشرية وأخرى طبيعية.

(I/٤) ١-مشاكل بشرية

غارات الأعراب

وجهت الحروب والغارات ضربات موجعة للنشاط الرعوي بالبادية المغربية خلال العصر الوسيط، مما كان يتسبب أحيانًا في مجاعات محلية، لا سيما في ظل تقلص الانتاج وغياب الأمن وضعف السلطة، ويذكر الوزان نماذج كثيرة عن غياب الأمن و الاستقرار أواخر العصر الوسيط، فالطرقات لم تكن مأمونة البتة[١١٥]، ذلك أن سكان إقليم جزولة مثلا، كانوا "لا سلطان لهم (...) فهم منقسمين ومتحاربين في غالب الأحيان، ولا تدوم هدنتهم أكثر من ثلاثة أيام في الأسبوع"[١١٦]، كما أن صحراء أنكاد، كانت مرتعًا و"مأوى لعصابة لصوص من الأعراب على استعداد دائم للفتك بالمارين من هناك"[١١٧].

ولئن كان النص الأخير يحيل على ظاهرة غياب الأمن وانتشار اللصوصية في الطرقات، فإنه يكشف كذلك عما كان يتعرض له بعض الرعاة من نهب وسلب لقطعان الماشية من طرف الأعراب، فقرب ملوية كانت تستوطن قبيلة تسمى البطالسة يملكون "عددًا عظيمًا من الخيل والغنم، وكثيرًا ما يكون هؤلاء الرعاة في حرب مع من يجاورهم من الأعراب"[١١٨].

ومن شدة الخطر الذي جسده الأعراب على النشاطين الرعوي والزراعي، يذكر الوزان أن "ملوك تلمسان (كانوا) مضطرين إلى تهدئتهم بأداء إتاوات جسيمة وتقديم الهدايا لهم، لكن لم يستطيعوا قط إرضاءهم جميعا"[١١٩] .

ولم تسلم قطعان الماشية من تلك الحروب المحلية داخل القبيلة نفسها، فسكان جبل هنتاتة (...) يملكون كثيرًا من الخيل(...) لكن الحروب بينهم مستمرة بسبب خلاف حول بعض القرى والأراضي الواقعة في الحدود بينهما"[١٢٠]، كما أن أهل تييوت بسوس كانوا "يعيشون في حرب دائمة بينهم، وقلما يعرفون السلم"[١٢١].

زحف التعمير

تضررت قطعان الماشية باستغلال بعض مسارح الرعي لبناء المدن أو تجديدها، لا سيما أواخر العصر الوسيط، وهو ما حصل أثناء رغبة الأندلسيين تجديد مدينة تطوان، حيث استاءت القبائل المجاورة لها من هذا التجديد بدعوى أن أرضها ضمن أملاكهم وأن مرفقها هي مراع لمواشيهم، وذهبوا إلى حد الاستعانة بالنصارى و هدم الدور التي بناها الأندلسيون[١٢٢].

(I/٤) ٢-المشاكل الطبيعية

لعل من بين التحديات الطبيعية التي واجهها النشاط الرعوي بالمغرب الاسلامي، نذكر دورات الجفاف والأوبئة وما كانت تلحقه بقطعان الماشية من أضرار[١٢٣]، فضلاً عن بعض الأمراض التي كانت تصيبها كمرض الصوال الذي ظل يعصف بقطعان الماشية أواخر العصر الوسيط[١٢٤].

خطر الجراد

ولم تسلم المواشي من خطر الجراد أحيانًا، وما كان يخلفه من دمار للغطاء النباتي مما ينعكس سلبا على قطعان الماشية، حيث ذكر الوزان حين مر بجوار مدينة تاكستة من إقليم حاحا في سنة كثر فيها الجراد جدا في وقت أخرج الزرع سنابله وكان عدد الجراد ضعف عدد السنابل بحيث أن الأرض كانت لا تكاد تظهر"[١٢٥].

خطر الثلوج

وقد كانت قساوة الظروف الطبيعية تنال كثيرًا من إنتاج النشاط الرعوي الذي عانى من خطر الثلوج لا سيما بالمناطق المرتفعة، كما هو الحال بجبل سكسيوة فهو "جبل موحش جدا شديد الارتفاع والبرد(...) ولا يزول منه الثلج أبدا، وفيه كثير من الكهوف العريضة العميقة التي جرت العادة أن تخبأ فيها الماشية ثلاثة أشهر"[١٣٦].

خطر الحيوانات المفترسة

شكلت الحيوانات المفترسة خطرًا محدقًا بالراعي وقطعان ماشيته في كل الأوقات، فسكان تييوت بإقليم حاحا كانوا "يملكون أعدادا وافرة من الماعز،(لكن) تكثر الأسود في هذه المنطقة فتفترس العديد من هذه الماشية وتعطبها"[١٣٧]، أما بالمعمورة وضواحيها، فقد كان "خطر الأسود عظيمًا، وكثيرا ما تفترس الدواب والناس الذين لم يعتادوها، لأنها أكثر أسود إفريقيا ضراوة"[١٣٨]. ويذكر الوزان قصة أسدين كادا مهاجمته، بعدما جلبتهما رائحة الخيل إلى المدشر الذي اضطر المبيت به في تييوت بنواحي حاحا، حيث قضى ليلة واحدة في فزع شديد، قائلاً "إننا صرنا نرتعد خوفا من أن ينهار السقف ونصبح فريسة لهذين السبعين"[١٣٩].

٢/٤-أحوال الرعاة

تعكس النصوص النوازلية جانبًا مهمًا من أحوال الرعاة ومشاكلهم ببادية المغرب الإسلامي، ومنها ما دونه ابن رشد القرطبي (ت٥٢٠هـ) ضمن فتاويه، وابن الحاج التجيبي (ت٥٢٩هـ) في نوازله، وابن هلال السجلماسي (ت٩٠٣هـ) ضمن أجوبته[١٣٠]، والونشريسي (ت ٩١٤هـ) في معياره[١٣١] و خاصة تأليفه المعنون "بإضاءة الحلك في الرد على من أفتى بتضمين الراعي المشترك"[١٣٢]، فضلاً عما دونه أبو الحسن علي بن رحال المعداني (ت ١١٤٠هـ) ووسمه "بكشف القناع عن تضمين الصناع"[١٣٣]، وما كتبه البويعقوبي أحمد بن محمد الملوي (من أهل ق١٣هـ) وعنونه "بتحفة القضاة ببعض مسائل الرعاة"[١٣٤] وغيرهم.

ويبدو من خلال نصوص هذه النوازل الفقهية، أن أهم الأسباب التي كانت تؤدي إلى مشاكل بين الرعاة وأرباب المواشي، ظلت محصورة في ضياع بعض رؤوس قطعان الماشية أو إفسادها لزروع الغير[١٣٥]، أو توكيل الراعي غيره ليقوم بعمله دون إذن مستأجره[١٣٦]، أو بيع رب الماشية قطيعه قبل انصرام المدة المحددة[١٣٧]، أو الاختلاف حول عدد رؤوس الماشية بين رب الغنم والراعي الأجير الذي قد يقول أن "الزائدة هي مالي وملكي كانت عندي وقت الاستئجار"[١٣٨]، وغيرها من المشاكل التي كانت تتسبب في نزاعات متواترة بين الراعي ورب الماشية، ناهيك عن تلك المشاكل التي كانت تتمحور حول النزاع على المراعي[١٣٩].

وفيما ركزت أغلب هذه النوازل على مسألة التضمين في حال ضياع بعض رؤوس الماشية، نصادف إشارات نوازلية أخرى تكشف عن وضعهم المعيشي الذي لم يكن بأحسن حال، خاصة أولئك الذين كانوا يرعون ماشية كبار الملاك لفترة محددة مقابل أجرة معلومة، فقد غلب على أحوالهم الفقر وشظف العيش، حتى استؤجر بعضهم برغيفين في اليوم[١٤٠]، مما يفسر ضعف دخلهم واضطرارهم لمزاولة أعمال أخرى غير الرعي. كما أن مأواهم كان ملازمًا للماشية في الغالب الأعم، وقد يأوون ليلا داخل الخيام في أحسن الأحوال[١٤١].

وإذا كان الرعاة قد عانوا من ضغط الضرائب وتعسفات الأعراب الذين اعتادوا سلب مواشيهم[١٤٢]، فإن معاملتهم القاسية أحيانا ودخولهم في مشاحنات مع أرباب الماشية، كانت تزيد من معاناتهم، حيث يضطر بعضهم إلى التخلي عن مهمته دون تعويض. وبالنظر لشدة فاقتهم، فقد اضطر بعض الرعاة إلى توكيل غيرهم[١٤٣] أو الاستعانة بالزوجة والأبناء[١٤٤]، قصد التفرغ لمزاولة حرفة أخرى تدر عليهم دخلاً إضافيًا يمكنهم من سد رمق عيش عيالهم[١٤٥]، بينما أرغم بعضهم الآخر إلى أخذ الصوف والألبان دون إذن أصحابها[١٤٦]، أو ممارسة اللصوصية[١٤٧]، أو اللجوء الى الكذب والتمويه، وهو ما يثبته أحد الفقهاء بقوله" كنت زمن ولايتي بتلمسان، كثيرًا ما أحكم بتضمين الراعي المشترك عندما يظهر لي مخايل كذب الرعاة، وتعديهم وتفريطهم، وذلك غالب أحوالهم"[١٤٨].

وكم كان الحسن الوزان، دقيقًا في وصف الوضع المعيشي للرعاة ببادية المغرب الإسلامي أواخر العصر الوسيط، حين ذكر أنهم تميزوا بفقرهم وفاقتهم سواء على مستوى المأكل[١٤٩] أو الملبس[١٥٠] أو المسكن[١٥١] ملخصًا ذلك بقوله "والرعاة سواء منهم سكان الجبال أو سكان السهول يعيشون معيشة ضنكا ويبقون في بؤس وخصاصة على الدوام".

ولا تعوزنا الإشارات المصدرية عن محاولة هؤلاء تجاوز واقع الأزمة، والفرار من واقعهم البئيس، وتفريغ مكبوتاتهم، وذلك بلجوء بعضهم، شأنهم في ذلك شأن بعض الفلاحين، إلى معاقرة الخمر[١٥٢] والممارسات الجنسية غير الشرعية[١٥٣]، بينما وجد بعضهم الآخر في عالم الغيبيات ضالته، فلجأوا إلى عالم الأولياء والمتصوفة قصد الاحتماء بهم وحل مشاكلهم،

فاعتقدوا اعتقادًا راسخًا في كرامات الأولياء أملاً في إيجاد حلول لبؤسهم ومعاناتهم[١٥٤].

ويبدو من خلال تعدد نوازل استئجار الرعاة، أن كثيرًا من الفلاحين كانوا يفضلون الراعي الأجير، لخبرته وكفاءته، فهو على علم بجزئيات القطيع، أكثر من غيره، كما يكتسب خبرة عملية في مداواة الماشية وصيانتها من الأمراض والأوبئة، حتى قيل إن "الأعراب يعرفون أغنامهم كما يعرفون كناية الناس"[١٥٥]، وهو ما يؤكده ابن العوام حين ذكر أن الماشية إن أدركها المطر لا تتحرك من موضعها ما لم يلحقها الراعي، بل قد تهلك في مكانها، وفي هذه الحالة، فإنه "يحضر لها ذكورا لتتبعه سائر الغنم"[١٥٦].

وبحثًا عن كفاءة الراعي وحنكته، توخى معظم الفلاحين اختيار الراعي المناسب، ولهذا الغرض كتب أحد العارفين بشأن الفلاحة أن "أفضل من يرعى البقر، كل طويل شديد جهير الصوت من الرجال، فإنه كذلك كان مشرفا على أوائل البقر والشاة منها، وكانت تعينه مع ذلك أنه إذا كان جهير الصوت، كان ذلك أهيب لما يرعى من البقر، وأفضل راع للشاة لا يستغني عن هذه الخصال لكثرة عدو الشاة من النسر والسباع"[١٥٧].

وبالمثل، نبه الطغنري على أهمية الشروط الواجب توفرها في الراعي، ذلك أن "راعي البقر إذا كان قصيرا، لم ير أوائلها إذا كان في آخرها، وأفضل ما يستعمل في رعي الشياه، كل قصير خفيف كريم طلق اللسان شجاعًا صابرًا، فلا يأمن أن يطرقه العدو فيضيعه، وإذا كان شجاعًا، فلا يأمن أن يطرقه العدو من البشر، أو السباع في ليله ونهاره"[١٥٨].

ومن كثرة تواتر النزاعات بين الرعاة وأرباب الماشية، تم تحرير عقود استئجار التي قد تصبح ضرورة ملحة خاصة في حالة الشركة[١٥٩]، وذلك قصد تحديد الأجرة والمدة، وواجبات الراعي ورب الماشية وحقوقهما، وقد تحدد أجرة الراعي حسب عدد الماشية[١٦٠] التي قد تستدعي وجود راعيين لحرزها[١٦١]، كما قد يشترط على المستأجر نفقة الراعي ومؤنة أكله وكسوته إلى انقضاء أمد الإجارة[١٦٢]، ولا يجوز لرب الغنم أن "يشترط على الراعي ضمان ما تلف من غير تفريط منه، وتفسخ الاستجارة مع الشرط المذكور، وله أجرة المثل فيما رعى"[١٦٣] و"إن خرج الراعي قبل انصرام المدة فلا شيء له، وإن أخرجه رب الغنم أعطاه جميع الأجرة"[١٦٤]، وغير ذلك من المحددات التي استأثرت باهتمام الفقهاء تفاديا للنزاع و دفعا للخصومات.

خَاتِمَةٌ

ومما سلف يتضح أن النشاط الرعوي، قد هيمن بقوة على مجتمع المغرب الإسلامي، بحكم طابع البداوة الذي ميزه خلال العصر الوسيط، وهو ما جسد إحدى مراكز القوة والضعف في الآن نفسه، فهو مركز للقوة لأن الماشية شكلت بضاعة أساسية للنشاط التجاري ودعمه بأهم المواد الأولية، وخلقت رواجًا اقتصاديًا رعويًا بامتياز، والضعف لأن تغليب النشاط الرعوي، قد انعكس سلبًا على تطور الزراعة بحكم تخصيص مجالات خصبة وشاسعة لهذا القطاع، فضلاً عما كانت تلحقه الماشية من أضرار بالأشجار والزروع.

كما أن الاهتمام بالنشاط الرعوي، قد فوت على المجتمع فرصة استصلاح الأراضي وأعاق بالتالي تجاوز اقتصاد الكفاف الذي ظل يهيمن على بلاد الغرب الإسلامي لعدة قرون.

ولئن ظل قطاع الرعي وتربية الماشية، بمنأى عن كل تطور بفعل اعتماد وسائل تقليدية وقساوة الظروف الطبيعية، فإن هيمنة هذا القطاع قد أفرز طبقة من الرعاة داخل مجتمع المغرب الإسلامي، عانت من بؤس المعيشة وتسلط الأعراب وقسوة الطبيعة وعنف الضرائب وضعف الأمن والاستقرار.

الاحالات المرجعية:

(١) المقصود ببادية المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط ذلك المجال البدوي في بيئات الغرب الإسلامي الثلاث بما في ذلك بلاد المغرب الأقصى والأوسط، ثم إفريقية والأندلس. عن حدود هذا المجال، راجع: عزالدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق القاهرة، ١٩٨٦م، ص. ٣٩ وما بعدها.

(٢) موسى هواري، **تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (ق١-٧هـ/٧-١٣م)**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، نوقشت سنة ٢٠٠٨-٢٠٠٩. وانظر: أيضًا مقال فاطمة بلهواري، **النشاط الرعوي في بلاد المغرب خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي**، دورية كان التاريخية، العدد٨، يونيو ٢٠١٠م، ص.٢٨-٣٢.

(٣) نوال بلمداني، **نظام الرعي في المغرب الأوسط بين القرنين الرابع والخامس الهجريين**، دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع، سطيف، ٢٠١٧م.

(٤) نذكر في هذا الصدد دراسة عزالدين أحمد موسى، **م س**، ص.١٩٧ وما بعدها .أيضا: محمد الطويل، **الفلاحة المغربية في العصر الوسيط**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، الرباط، ١٩٨٧-١٩٨٨م، ص١٠٨-١٣٠.أيضا: نوال بلمداني، **م س**، ص. ١٠٨-١٣٠. أيضا: إبراهيم حركات، **النشاط الاقتصادي الإسلامي حتى القرن ٩هـ/١٥م**، أفريقيا الشرق، ١٩٩٦. أيضا: عمر بنميرة، **النوازل والمجتمع، مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم ٦٧، ط١، ٢٠١٢م، ص. ١٠٩ وما بعدها. أيضا: محمد فتحة، **النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من ق٦ إلى ٩هـ/١٢-١٥م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، البيضاء، ١٩٩٩م، ص.٣٨٩ وما بعدها.

(٥) ابن خلدون، **المقدمة**، تصحيح وفهرسة أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، المجلد (٢)، ص١١.

(٦) نفسه، المجلد (٢)، ص.١١. أيضًا: ابن الأزرق، **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق وتعليق علي سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص.٧٠٤-٧٠٥.

(٧) عن الصراع بين أهل القرى حول المسارح، راجع النازلة التي وردت عن ابن رشد (ت ٥٢٠هـ) من العدوة (المغرب الأقصى). ابن رشد، **الفتاوى**، تحقيق المختار الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص.١١١٥-١١٥٦.

(٨) إبراهيم حركات، **النشاط الاقتصادي**، **م س**، ص.٢٦.

(٩) محمد الطويل، **م س**، ص.١٠٨. إبراهيم حركات، **م س**، ص.٢٤. محمد حسن، **المدينة والبادية في العهد الحفصي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة تونس الأولى، ١٩٩٩م، ج٢، ص.٤٥٤ وما بعدها.

(١٠) ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، المجلد ١، ص.٢٦-٤٤.

(١١) محمد الطويل، **م س**، ص.١٠٨.

(١٢) **نفسه**، ص.١١٣.

(١٣) عز الدين أحمد موسى، **م س**، ص.١٩٨. أيضًا: إسماعيل سامعي، **معالم الحضارة العربية الإسلامية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص.٢٧٥.

(١٤) يذكر الإدريسي أن بين " تلمسان وتاهرت يسكن بنو مرين وورتطغير وزير وورتيد وماني وأومانوا وسنجاسة وغمرة ويلومان وورماكسين وتجين وورشفان ومغراوة وبنو راشد وتمطلاس ومنان وزقارة وتيمنى، وكل هذه القبائل بطون زناتة وهم أصحاب هذه الفحوص، وهم قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان إلى مكان غيره". انظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج١، ص.٢٥٧.

(١٥) **نفسه**، ج١، ص.٢٥٧.

(١٦) ابن عذاري المراكشي، **م س**، المجلد٢، ص.٤٨٠. عزالدين أحمد موسى، **م س**، ص.١٩٨.

(١٧) **نفسه**، المجلد٢، ص. ٤٨٠. عزالدين أحمد موسى، **م س**، ص.١٩٨.

(١٨) العذري، **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار**، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م، ص.٩٦.

(١٩) ابن غالب، **فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس**، قطعة من الكتاب منشورة بمجلة معهد المخطوطات العربية، المجلدا، القاهرة، ١٩٥٥م، ص.٢٩٣.

(٢٠) الحميري، **الروض المعطار في خبر الاقطار**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص.٥٩. والمقصود بالظلف "كل ما اجتر وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها"، انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت، ج٧، مادة: ظلف.

(٢١) ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٦م، ص.١١٠.

(٢٢) العذري، **م س**، ص.٩٦.

(٢٣) **نفسه**، ص.٩٦.

(٢٤) **نفسه**، ص.٩٦.

(٢٥) ابن حجاج، **المقنع في الفلاحة**، تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية، تدقيق وإشراف عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص.٧٠-٧١.

(٢٦) للتوسع، راجع: أحمد الطاهري، **عامة إشبيلية في عصر بني عباد**، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، ١٩٩٥م، ج١، ص.٢٦٨. (مرقونة).

(٢٧) إبراهيم حركات، **م س**، ص.٢٤. محمد حسن، **م س**، ج٢، ص.٤٥٤ وما بعدها.

(28) Laurent Auclair; Abdellhadi Ewague; Benoit Hoarau; **Les Paysages Gravés Du Haut-Atlas Marocain**; édition errance 2018 ;p.14.

أيضًا: إبراهيم حركات، **م س**، ص.٢٤.

(٢٩) أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي خلال القرن التاسع عشر (١٨٥٠-١٩١٢م) اينولتان**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط٢، ١٤٠٣/١٩٨٣م، ص.١٩٩.

(٣٠) ابن عذاري، **م س**، المجلد (١)، ص. ٢٦-٤٤.

(٣١) عز الدين أحمد موسى، **م س**، ص.١٩٨.

(٣٢) إبراهيم حركات، **م س**، ص.٢٨.

(٣٣) محمد الطويل، **م س**، ص.١١١.

(٣٤) الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٩، ص.٥٧٢-٥٧٣. (نازلة سئل عنها القابسي (ت. ٤٠٣ هـ) عن قوم عادتهم إطلاق إبلهم في الشعراء ترعى فيأتي يوم تشرب فيه الماء فيسقى كل إنسان جمله ويخليه ويرجع إلى المرعى ولا راعي لهم".

(٣٥) عن انتشار الأسود بالمجال المغربي خلال العصر الوسيط وما كانت تخلفه من أضرار، راجع: ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم ٢٢، ط٢، ١٩٩٧م، ص.١٦٦-١٦٧-٣٣٩. أيضا: الحسن الوزان، **وصف**

إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ج١، ص.١٠٣.

(٣٦) الوزان، **م س**، ج١، ص.١٠٩.

(٣٧) **نفسه**، ج١، ص.١٤٥.

(٣٨) ابن الزيات، **م س**، ص.٢٣٤. ولعل ما يؤكد انتشار ظاهرة سرقة المواشي وخاصة الأغنام والأبقار، تلك النازلة التي وردت على الفقهاء ببادية المغرب الإسلامي، بشأن "جواز اتخاذ الكلب لحراسة الماشية ليلا"، انظر: الونشريسي، **م س**، ج٢، ص.٧. (نازلة سئل عنها عبد الرحمان الواغليسي ت ٧٨٦هـ ببجاية)، راجع ترجمته عند: محمد ابن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص.٢٣٧.

(٣٩) الونشريسي، **م س**، ج٦، ص.١٩٠.

(٤٠) **نفسه**، ج ٥، ص.٢٤-٢٥.

(٤١) السجستاني، **النخلة**، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، رقم ١٤١٠د، نقلاً عن: حسن علوي حافظي، **سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص.٣٣٧.

(٤٢) الوزان، **م س**، ج١، ص.١٠٩.

(٤٣) **نفسه**، ج١، ص.١٢٣.

(٤٤) **نفسه**، ج١، ص.١٠٣.

(٤٥) الونشريسي، **م س**، ج٥، ص.٢٥. (نازلة سئل عنها ابن لب فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الغرناطي (ت ٧٨٢هـ) عن مبادلة البيض **بالنخال** (...) وسئل عن إعطاء **التبن** بالزبل)، وانظر ترجمة ابن لب عند: الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٩٢م، ج٥، ص.١٤٠.

(٤٦) ابن الزيات، **م س**، ص.٢٦٠.

(٤٧) الونشريسي، **م س**، ج٨، ص.٣٣١.

(٤٨) **نفسه**، ج٨، ص.٣٤.

(٤٩) **نفسه**، ج٨، ص.٣٣٠.

(٥٠) **نفسه**، ج٨، ص.٣٤١.

(٥١) **نفسه**، ج٨، ص.٣٣٠.

(٥٢) **نفسه**، ج٨، ص.٣٤١.(نازلة سئل عنها الونشريسي سنة ٨٧٤هـ).

(٥٣) الونشريسي، **م س**، ج٨، ص.٢٦٣.

(٥٤) **نفسه**، ج٨، ص.٢٦٣.

(٥٥) عز الدين أحمد موسى، **م س**، ص.١٩٨.

(٥٦) محمد الطويل، **م س**، ص.١١٤.

(٥٧) مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، البيضاء، ١٩٨٥م، ص.١٧٧.

(٥٨) ابن حوقل، **م س**، ص. ٧٩ وما بعدها. الوزان، **م س**، ج١، ص.٧٥-٧٦. وعن ناحية مراكش، ج١، ص.٩٥ وما بعدها. وناحية هسكورة، ج١، ص.١٦٣ وما بعدها. وعن ناحية تادلا، ج١، ص.١٧٦ وما بعدها. والريف، ج١، ص.٢٥٣-٢٥٤. وما بعدها.

(٥٩) ما زال هذا المصطلح متداولا إلى يومنا الحاضر في العديد من البوادي المغربية، ويعرف "**بالزوجة**" دون إضافة، أو "**زوجة الحرث**"، ويحمل دلالة الثنائي المستعمل في عملية الحرث، وقد يتكون من البقر أو من البقر والدواب معا.

(٦٠) أحمد مختار العبادي، **مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص.١٥٠.

(٦١) أحمد التوفيق، **م س**، ص.٢٠١-٢٠٢.

(٦٢) أحمد مختار العبادي، **م س**، ص.١٥٠. أيضًا: ابن قنفد، **أنس الفقير وعز الحقير**، اعتنى بنشره وتصحيحه، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥م، ص.٧١.

(٦٣) كتاب الاستبصار، **م س**، ص.١٧٩.

(٦٤) **نفسه**، ص.١٨٨-١٨٩- ١٩١.

(٦٥) **نفسه**، ص.٢١٤.

(٦٦) **نفسه**، ص.٢١٤.

(٦٧) الوزان، **م س**، ج٢، ص.٣٣٦.

(٦٨) عز الدين أحمد موسى، **م س**، ص.١٩٩.

(٦٩) للتوسع، انظر: أحمد الطاهري، **م س**، ج١، ص.٢٦٧ وما بعدها.

(٧٠) الونشريسي، **م س**، ج٩، ص.١٠٨.ج٨، ص.١٥٠-١٥١.

(٧١) الوزان، **م س**، ج١، ص.٧٥-٨١-١٠٩.

(٧٢) **نفسه**، ج١، ص.٣٣١.

(٧٣) **نفسه**، ج١، ص.١١٠.

(٧٤) **نفسه**، ج١، ص.٩٨.

(٧٥) **نفسه**، ج١، ص.١٠٣.

(٧٦) **نفسه**، ج١، ص.١٤٠.

(٧٧) **نفسه**، ج١، ص.١٦٣.

(٧٨) **نفسه**، ج١، ص.٢٩٩. و"تغات" لفظة أمازيغية تنطقها ساكنة فاس بتغات بتسكين التاء، وهي تحريف لفظي لكلمة "ثغاط" وتعني العنزة أنثى التيس وصغيرها الجدي.

(٧٩) **نفسه**، ج١، ص.٣٣٨.

(٨٠) كتاب الاستبصار، **م س**، ص. ١٨٧. الوزان، **م س**، ج١، ص.١٥٣.

(٨١) عز الدين أحمد موسى، **م س**، ص.١٩٩.

(٨٢) ابن القطان، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، دراسة وتقديم وتحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص.٢٣٨. ابن عذاري، **م س**، المجلد ٣، ص.١٠٧.

(٨٣) ابن عذاري، **م س**، المجلد، ٣، ص.١٠٥.

(٨٤) ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين**، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص.١٤٢.

(٨٥) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٧، ص.٤١٩.

(٨٦) مجهول، **م س**، ص.١٨٧.

(٨٧) ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص.٣٦٩.

(٨٨) الوزان، **م س**، ج٢، ص.٢٦٣.

(٨٩) الإدريسي، **م س**، ج١، ص.٢٣٧.

(٩٠) تعرف بالمدينة أو الغربية، وقد وصفها الوزان بأنها كانت حاضرة دكالة. انظر، **وصف أفريقيا**، م س، ج١، ص.١٥٢-١٥٣.

(٩١) عز الدين أحمد موسى، **م س**، ص.٢٠٠.

(٩٢) ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب، م س**، ص.١٦١.

(٩٣) يذكر ابن أبي زرع أن الأمير المرابطي عبد الله بن ياسين لما فتح سجلماسة سنة ٤٤٠هـ، وجد عند أميرها مسعود المغراوي "خمسين ألف ناقة كانت بها في مراعيها"، انظر: **نفسه**، ص.١٦١.

(٩٤) إذ يذكر ابن عذاري أن المرابطين عرفوا أميرهم أبا بكر بن عمر (...)فنظروا له ذلك الموضع لكي يكون وادي نفيس جنانها ودكالة فدانها وزمام جبل درن بيد أميرها طول زمانها"، انظر: **م س**، المجلد ٣، ص.١٦. أيضًا: ابن سماك العاملي، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار الدولة المراكشية**، حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، ط١، ١٩٧٩م، ص.١٦.

(٩٥) ابن الأبار، **الحلة السيراء**، حققه وعلق على حواشيه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م، ج٢، ص.٢٢٠.

(٩٦) الإدريسي، **م س**، ج١، ص.٢٢٤.

(٩٧) الإدريسي، **م س**، ج١، ص.٢٣٧.
(٩٨) ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب، م س**، ص.٣٦٩.
(٩٩) الوزان، **م س**، ج١، ٢٨٦.
(١٠٠) ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار**، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، المجلد ٤، ص.٢٣٩.
(١٠١) مارمول، م س، ج١، ص.٧١.
(١٠٢) الوزان، م س، ج١، ص.٢٦١.
(١٠٣) للاطلاع على أنواع أخرى من الجمال وخصائصها، راجع دراسة كل من:
-Faure Roger ; **Le tafilalet étude d'un secteur traditionnel d'irrigation** ; Paris ; 1969 ; p.102.
-Mauny R. **Tableau géographique de l'ouest africain d'après les écrites tradition et archéologie**, Dakar, 1961 ;p.287-288.
(١٠٤) ابن أبي رزع، **الأنيس المطرب، م س**، ص.٢٤٣.
(١٠٥) محمد الطويل، **م س**، ص.١١٣.
(١٠٦) كتاب الاستبصار، **م س**، ص.١٥٢-١٥٣.
(١٠٧) ابن حوقل، **م س**، ص.٩٩-١٠٠.
(١٠٨) ابن أبي رزع، **الأنيس المطرب، م س**، ص. ١٣٧-١٣٨-١٣٩.
(١٠٩) **نفسه**، ص.١٦١.
(١١٠) **نفسه**، ص.١٦١.
(١١١) محمد الطويل، **م س**، ص.١١٠.
(١١٢) **نفسه**، ص.١١٠.
(١١٣) ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص.٢٧.
(١١٤) ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب، م س**، ص.٣٨٠-٣٨١.
(١١٥) الوزان، **م س**،ج١، ص.١٣٩.
(١١٦) **نفسه**، ج١، ص.١٤٤.
(١١٧) **نفسه**، ج٢، ص. ١١.
(١١٨) **نفسه**، ج١، ص. ٣٤٧.
(١١٩) **نفسه**، ج٢، ص.١٠.
(١٢٠) **نفسه**، ج١، ص. ١٤٢.
(١٢١) **نفسه**، ج١، ص.١١٦.
(١٢٢) محمد داود، **تاريخ تطوان**، مطبوعات معهد مولاي الحسن، مطبعة كريماديس، تطوان، د.ت، المجلدا، ص.٩٧-٩٨.
(١٢٣) عن الأضرار التي كانت تلحق بالمواشي جراء الجفاف والاوبئة، راجع: محمد العربي الخطابي، **ابن الخطيب وكتابه "الوصول الحفظ الصحة في الفصول"**، مجلة اكاديمية المملكة المغربية، العدد٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص.١٤٠.
- Mohammed Ben chakroune, **Le Milieu Marocain et ses aspects culturels, Etude Sociologique institutionnelle et artistique a L'époque Mérinide et Wattasside** ; Rabat, 1970 ;p.143-144.
(١٢٤) القباب (الجدامي أبو العباس أحمد بن قاسم الفاسي)، **أسئلة وأجوبة**، مخطوط الخزانة العامة، الرباط رقم ١٤٤٧د، ضمن مجموع، ص.٢١٨-٢٢٠.
(١٢٥) يؤرخ الوزان لعام الجراد هذا بسنة ٩١٩هـ، انظر: **م س**، ج١، ص..١٠٥.
(١٢٦) الوزان، **م س**، ج١، ص.١٤٠.
(١٢٧) **نفسه**، ج١، ص.١٠٣.
(١٢٨) **نفسه**، ج١، ص. ٢١١.
(١٢٩) **نفسه**، ج١، ص.١٠٣.
(١٣٠) ابن هلال السجلماسي، **الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير**، دراسة وتحقيق مبارك رخيص، كلية الشريعة أيت ملول، أكادير،١٤٢٣-١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢-٢٠٠٣م، ٣ أجزاء (مرقونة).
(١٣١) الونشريسي، **م س**،(١٢ج).
(١٣٢) **نفسه**، ج٨، ص.٣٤١-٣٤٣. وانظر: "الونشريسي، " **إضاءة الحلك والمرجع بالدرك على من أفتى من فقهاء فاس بتضمين الراعي المشترك**"، خزانة القرويين، رقم ١٦٥٨١. وانظر تقديم الكتاب عند طارق زوكاغ، **إضاءة الحلك والمرجع بالدرك على من أفتى من فقهاء فاس بتضمين الراعي المشترك لأبي الونشريسي**، مجلة المذهب المالكي، العدد ٢٤، شتاء ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م، ص.١٦٥-١٨٠.
(١٣٣) أبو علي بن رحال المعداني، **كشف القناع عن تضمين الصناع**، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦م.
(١٣٤) أحمد بن محمد البويعقوبي الملوي، **تحفة القضاة ببعض مسائل الرعاة**، مطبوع ضمن مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، العدد:٠٦، صفر ١٤٠٦هـ/يوليوز ١٩٩٥م، ص.٢٦٩-٣٠٩.
(١٣٥) **نوازل ابن الحاج التجيبي**، تحقيق أحمد اليوسفي شعيب، منشورات الجمعية المغربية الأندلسية، تطوان، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، ج٣، ص.٥٤٥-٥٥٥. ج٢، ص.٣٩٥. الونشريسي، **م س**، ج٨، ص.٣٣١-٣٣٥. التشوف، **م س**، ص.١١٥.
(١٣٦) الونشريسي، **م س**، ج٨، ص.٣٣١. ابن هلال السجلماسي، **م س**، ج١، ص.٣٩٩.
(١٣٧) الونشريسي، **م س**، ج٨، ص.٢٦٣.
(١٣٨) ابن رشد، **فتاوى ابن رشد**، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ج٣، ص.١٣٠٤-١٣٩٤.
(١٣٩) عز الدين موسى، **م س**، ص.٢٠٢.
(١٤٠) ابن الزيات، **م س**، ص.٢١٥-٢١٦.
(١٤١) الوزان، **م س**، ج٢، ص.٢٩.
(١٤٢) مارمول كاربخال، **افريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بن جلون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط،١٤٠٨-١٤٠٩هـ/١٩٨٨-١٩٨٩م، ج٢، ص١٩٧.
(١٤٣) **الدر النثير ، م س**، ج١، ص.٤٠٠. المعيار، **م س**، ج٨، ص.٣٣٠.
(١٤٤) ما تزال ظاهرة إشراك النساء والأطفال في النشاط الرعوي سائدة بشمال المغرب الأقصى إلى يومنا الحاضر، وإليها أشار الحسن الوزان بقوله أن "نساء جبل بني رزين بالشمال يرعين الماعز ويحرثن الأرض"، ونفس الأمر عند نساء جبل يستيتين بنواحي دبدو "يذهبن دائما الى الغابة ورعي الماشية". انظر، **م س**، ج١، ص.٣٣١. ج١، ص.٣٥٩.
(١٤٥) **المعيار**، **م س**، ج٨، ص.٣٣١. "وسئل أبو صالح عن راعي البقر دفعها إلى غيره بغير إذن أهلها رعاها يوم (...)"، عن ترجمة أبو صالح ايوب بن سليمان المعافري المتوفى سنة ٣٠١هـ، انظر: ابن مخلوف، **م س**، ص.٨٥.
(١٤٦) المالكي، أبو بكر عبد الله، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤، ص.٢٢٩.
(١٤٧) مارمول كاربخال، **م س**، ج٢، ص.١٢٣-٢٥٣. ج٣، ص.١٥٨-١٥٩.
(١٤٨) اليزناسني، التحفة، أورده علي بن رحال المعداني، **م س**، ص.١٠٨.
(١٤٩) الوزان، **م س**، ج١، ص.٥٨-٥٩-٣٣٠-٣٣١. مارمول، **م س**، ج٢، ص.٣٩-١١٤-١٢٣.ج٣، ص.١٤١.
(١٥٠) **نفسه**، ج١، ص.٨. مارمول، **م س**، ج٢، ص.٦٥-٦٦.
(١٥١) ابن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تقديم وتحقيق السعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨٩م، ج٣، ص.٨٩. الوزان، **م س**، ج١، ص.٤٧-١٠٩.

(١٥٢) الوزان، **م س**، ج١، ص.٣٢٩-٣٣١-٣٣٨. مارمول، **م س**، ج٢، ص.٢٤٦-٢٥٦-٢٦٤. ابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج٢، ص.١٢٤.

(١٥٣) محمد ياسر الهلالي، **مجتمع المغرب الاقصى خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة، مساهمة في دراسة بعض مصطلحات التراتب الاجتماعي**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، ١٩٩٩-٢٠٠٠م، ج١، ص.١٠٩.

(١٥٤) ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة، نصوص جديدة لم تنشر**، تحقيق عبد السلام شقور، تطوان، ١٩٨٨م، ص.١٥٨.

(١٥٥) محمد حسن، **م س**، ج٢، ص.٤٥٧.

(١٥٦) ابن العوام أبو زكرياء يحي (ق٦هـ)، **كتاب الفلاحة**، طبعة مدريد ١٨٠٢م، ج٢، ص.٤٧٣.

(١٥٧) قسطوس بن اسكولستيكه (ق٤هـ)، **كتاب الزرع**، تحقيق بواري الطرابلسي، بيت الحكمة، قرطاج، ٢٠١٠، ص.٧١.

(١٥٨) الطغنري، **زهرة البستان ونزهة الأذهان**، تحقيق مولود خلف المشهداني، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القهرة، ٢٠٠٥م، ص.١٤٢.

(١٥٩) من النوازل التي تعكس ضرورة إبرام عقد استئجار واضح بين الشريكين، هذه النازلة التي سئل عنها ابن رشد (ت٥٢٠هـ) "عن شريكين في بق، كان لأحدهما عشرون رأسا وللآخر اثنا وعشرون، وشاركه بعشرين وبقي اثنان لا شركة فيهما، فعطب من البقر واحد، فقال صاحب العشرين هي من الرأسين الزائدين، وقال الآخر: هي من بقر الاشتراك (...)"، انظر: **فتاوى ابن رشد**، ج٢، ص.٨٧٢.

(١٦٠) الونشريسي، **م س**، ج٨، ص.٢٦٣.

(١٦١) الشعبي، أبو المطرف عبد الرحمان، **الأحكام**، تحقيق الصادق الحلوى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٢.ص.٢٩٢.

(١٦٢) الونشريسي، **م س**، ج٨، ص.٤٩٧.

(١٦٣) البويعقوبي، **م س**، ورقة ٢.

(١٦٤) **نفسه**، الورقة ٣.